

المعهد البابوي الشرقي في خدمة الشرق المسيحي



إنّ المقال الذي نُشر مؤخرًا تحت عنوان "زلزالٌ بين الآباء اليسوعيين في المعهد البابوي الشرقي" قد أثار بين الأصدقاء في المعهد نفسه — الأصدقاء الحقيقيين — مشاعر و أحاسيس مختلطة ومتعارضة. قبل كل شيء، وحبّ الشناء على الدقة التي تمّ بها، وبأمانة، احترام الكتابة المعقدة للأسماء والكُنَى الغير إيطالية. يجب أيضًا تقدير الدقة في المعلومات المذكورة. ولكن لا يمكن إطلاقًا تقدير لا صيغة عنوان المقال ولا التقييمات المعبر عنها من قبل مقدم الخبر.

في عنوان المقالة يظهر جليًا الصورة الغير ملائمة للـ "زلزال"، حقيقةً تستحضر فقط الخراب والموت. إذا أرادوا ولا بُدّ إستخدام التصوّرات، لكان الأنسب إستخدام كلمة "عاصفة"، ولربّما أيضًا "عاصفة مفاجئة و هبوب لرياح عيفة، التي تحطّم الأشجار الأكثر عُرضةً للإنحدار". ولكن الجميع يعرف أنّ العاصفة تغسل، تُنعش، تُجدد، وأنّه بعد مرورها تجعل المكان هادئًا.

وفيما يختصّ بالاقباصين اللذين يصدّقان بشكلٍ غامضٍ ومُبهم على المقال، يجب القول أنّ التعبيرات الكارثية المختلفة، "الهزيمة"، "المقاومة على الحياة"، "ميدان صراع فارغ، لا فائزين ولا خاسرين"، يجب إعادتهم واحترام بالغ إلى المرسل. على الرغم من أنّه، وكما يحدث في كلّ مؤسسة أكاديمية، لا يمكن أن تحظى كلّ المواد الدراسية على الموافقة الشاملة من الذين يُتابعوهم بانتظام، إلّا أنّه صحيحٌ أيضًا أنّ الغالبية العظمى من تلك المواد الدراسية تُرضي تمامًا توقعات الطلاب.

من يتكلّم عن "هشاشة في العديد من التعاليم، مُوكّلين إلى مُعلّمين قد جُمِعوا بشكلٍ عشوائي، في حالة انتقالٍ مؤقتة من جامعاتٍ أُخرى، وقد قُلصوا إلى درجة أنّه في أسابيع قليلة يجب أن يُدرّسوا ما يجب أن يُدرّس في فصلٍ كامل" يُظهر عدم معرفة الرّسالة المعقدة المُوكّلة إلى المعهد الشرقي، خصوصًا إلى كُلية العلوم الدينية الشرقية. هذه الكُلية، والتي من العام ١٩١٧ حتى العام ١٩٧١، أيّ حتى إقامة كُلية الحقّ القانوني الشرقي، تمّ تحديدها من قبل المعهد نفسه، وتُنقسم إلى ثلاثة أقسام: لاهوت الآباء، ليتورجيا وتاريخ. بدوره، أثناء تحضير برنامج المواد الدراسية، كل قسم من هذه الأقسام يفتح على نطاقٍ مُعيّن من مختلف التّراثات والتقاليد الشرقية: بيزنطي-سلافي، كلداني، مالابار، مالانكار، ماژوني، بُطي، أثيوبي، أرمني، جورجي، والعديد من التّراثات الشرقية الأخرى الغير مذكورين هنا.

لإعطاء مساحةٍ مُناسبةٍ لهذه التّراثات الغنيّة والمنوّعة (الكاثوليكية، الأرثوذكسية ومآقبل الخلقيدونية) أُدخلوا، مُنذ سنواتٍ عديدةٍ إلى جانب المواد الدراسية العادية ذات الـ (٢٤) ساعةٍ دراسيةٍ مُحفوظين للمجالات الكبيرة، موادٍ دراسيةٍ مُكتفئة ذات الـ (١٢) ساعةٍ دراسيةٍ، الذين يُناقشون وبالتناوب كلُّ سنتين من النّاحية العَدديّة المجالات الصغيرة. هذه العملية تُنشئ تحدّي حقيقي، سواءً بالنسبة لعميد الكُلية الذي دُعي لأجل تحضير برنامج المواد الدراسية، أو بالنسبة للسكرتير الذي يجب عليه أن يُدرجهُم ضمن التقويم الأكاديمي. لو أنّه كان يجب أن يُحفظ لكل مادّةٍ من هذه المواد فصلٌ دراسي كامل، لما كانوا يكفون عشر سنواتٍ من أجل التخرّج. ولكنّ المعهد

البابوي الشرقي، على مثال كل مؤسسة أكاديمية أخرى، لا يدعوا إلى تلقين كل العلم والمعرفة؛ مهمته هي إيصال منهجية العمل إلى الطالب التي ستسمح له بالمسير قُدماً من تلقاء نفسه.

يُمكن القول، دون الخوف من التناقض، أنه لا يوجد أية كُلية لاهوتية، لا في روما ولا في أي مكان آخر، تعرف برنامجاً دراسياً مُفصلاً بهذا الشكل والتعقيد. حالياً، وبما أن الخبراء في هذه المجالات والتي تُسمى صغيرة، غالباً هم غير مُتقنين، لا في الكادر التعليمي الداخلي الدائم ولا حتى في روما، فمن الواضح إذاً أنه يجب الذهاب للبحث عنهم هناك حيث هم يوجدون، مُقترحين موادهم الدراسية المكتفة، بما يتوافق مع الحياة والأنشطة في المؤسسة حيث يُقيمون.

خلاصة القول، إن المعهد البابوي الشرقي مدعو كل يوم للإجابة (تنفيذ) على حرفية نص الرسالة الواردة في الوثيقة التأسيسية "Orientis Catholici" الصادرة من قبل الحبر الأعظم قداसे البابا بينيديكتوس الخامس عشر (في ١٥ تشرين الأول ١٩١٧)، تلك وبالتحديد بأن يكون "المركز الخاص للدراسات العليا في روما فيما يتعلق بالشؤون الشرقية". هذا هو الكادر التعليمي، مع علمه بمحدودية الطاقم والوسائل المتاحة له، يسعى جاهداً للعمل، جامعاً بين التعليم والبحث العلمي.

المنشورات التي أُصدرت من المعهد البابوي الشرقي في الأعوام الأخيرة يُؤكدون أن المدرسين هم ليسوا على الإطلاق "باحثون حتى مرحلة التقاعد" - باحثين غير منتجين، في عقلية من يُوجه الاتهام-، ولكن هم يبحثون، يجدون ويُنتجون.

يكفي أن نتذكر أعمال المؤتمر الدولي "Le vie del sapere in ambito siro-mesopotamico dal III al IX secolo" (١٢-١٣ أيار ٢٠١١)، روما ٢٠١٣، تم برعاية كل من: Claudia Tavolieri و Massimo Pampaloni JS ، Carla Noce ؛ أو أعمال المؤتمر الدولي للتيولوجيا "The Anaphoral Genesis of the Institution Narrative" (www.orientalichristiana.it) ؛ أو أعمال المؤتمر الدولي للتيولوجيا "in Light of the Anaphora of Addai and Mari" (٢٥-٢٦ تشرين الأول ٢٠١١)، روما ٢٠١٣، تم برعاية Cesare Giraudو SJ (www.prexeucharistica.org) ؛ أو سلسلة "La questione armena. Documenti dell'Archivio Segret Vaticano" ، ecc. ، روما ٢٠١٣-٢٠١٥ (أربعة أجزاء منها قد تم نشرهم وإثنين آخرين في مرحلة الطباعة)، Georges-Henri Ruysen SJ (www.lilame.org) . يُمكن أن نتذكر أيضاً "Dizionario enciclopedico dell'Oriente cristiano" ، نُشر بالغة الإيطالية برعاية Edward G. Farrugia SJ في العام ٢٠٠٠، والتي على وشك أن تصدر الطبعة الإنكليزية منه موسعة إلى حد كبير (أكثر من ٢٠٠٠ صفحة). يُمكننا أن نتذكر أيضاً السلسلة المرموقة "Patrologia Orientalis" ، تحت إدارة Philippe Luisier SJ ، والسلسلتين "Textes et " (11 volumi), "Patrimoine Culturel Arabo-Cristiano" و (28 volumi), "Patrimoine Arabe Chrétien" (9 volumi) " Études sur l'Orient Chrétien" ولا يقف كُله هنا.

إن الحديث الذي ألقاه البابا يُوحنا بولس الثاني في ١٢ كانون الأول ١٩٩٣ بمناسبة مرور ٧٥ عام على إنشاء المعهد، ردّد ما جاء في البرنامج الذي وضعه البابا بينيديكتوس الخامس عشر في العام ١٩١٧. كلمات مُشرقة وتعيدة النظر:

"أعزائي المدرسين، علموا هؤلاء الشباب القدرة على تدقيق التكامل، من أجل شمولية الإيمان والأهوت. فليكن البحث المنتظم منهجاً مدرسي من أجل فهم أفضل لشمولية الإيمان، وتلخيصه في الشخص الوحيد في المسيح، إله حقيقي وإنسان حقيقي، ابن الآب. الروح القدس سيُفقد هكذا كل واحد إلى المشاركة في الثالوث الأقدس، نازعاً إياه من التفقت في العبد من المشاكل الخاصة، حيث يُمكنه أن يُخاطر بأن يُصاب بالعقم.

إعملوا بشكلٍ إذ أن الطالب، في فترة إقامته الدراسية في معهدكم، أن يُحصل معرفة مُفصلة عن الشرق المسيحي في مجمله: إذا كان ذلك مُفيداً لللاتينيين، سيُكون بشكلٍ خاص للشرقيين، الذين سيُحصلون بتلك الطريقة الوسائل المساعدة لتقدير التراثات المختلفة للكنايس الذين يُشكلون المُسيحيات المتنوع في الشرق المسيحي. وهذا

قَدْ يَتَطَلَّبُ إِسْتِنَافٌ كَبِيرٌ عَلَى الْعَمَلِ الْمُتَعَدِّدِ الْإِحْتِصَاصَاتِ وَعَلَى نَشَاطٍ مُوَحَّدٍ بَيْنَ الْمُدْرِسِينَ: لَا تَتَرَدَّدُوا بِالْقِيَامِ بِهِ مِنْ أَجْلِ التَّمَرِّ الْكَامِلِ لْجُهُودِكُمْ لِفَائِدَةِ طُلَابِكُمْ.

تَأَكَّدُوا مِنْ أَنَّ اللَّيْتُورِجِيَا تُشْرِكُ الْآبَاءَ، الْآبَاءَ يُسَاعِدُونَ عَلَى إِعَادَةِ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَلِيَكُنِ الْآلَاهُوتُ الْخُلَاصَةَ التَّأْمِلِيَّةَ لَهُدِهِ (الْحَيَاةَ مَعَ يَسُوعَ)، مُرْتَبِطَةً إِرْتِبَاطًا وَثِيقًا، وَبِالْأَحْرَى فَلْتَكُنْ خِبرَةٌ فَرِيدَةٌ، مَعَ الرُّوحَانِيَّةِ، وَفَقًّا لِلنَّمُودَجِ السَّعِيدِ الَّذِي كَانَ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ".

فِي انْتِظَارِ الَّذِي سَوْفَ يَمُوتُهُ خَلِيفَتُهُ الْقَدِيسِ بَطْرُسَ بِمُنَاسَبَةِ مُرُورِ مِئَةِ عَامٍ عَلَى إِنْشَاءِ الْمَعْهَدِ، وَالَّذِي سَيَقْلُقُ مِنْ الَّذِي قَدْ حَدَثَ فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَّةِ لَا يَجِبُ أَنْ يَنْسَى أَنَّ الْمَعْهَدَ الْبَابَوِيَّ الشَّرْقِيَّ قَدْ عُهِدَ إِلَى الْجَمْعِيَّةِ الْيَسُوعِيَّةِ، وَالَّتِي فِي تَارِيخِهَا الطَّوِيلِ عَبَرَ قُرُونًا، وَفِي أَحْدَاثٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدْ عَرَفَتْ الْكَثِيرَ، وَبِكُلِّ تَأَكِيدٍ، إِذَا نَظَرْنَا أَعْبَدَ مِنَ الْعَاصِفَةِ الَّتِي هِيَ الْيَوْمَ عَلَى مَرَأَى مِنَ الْجَمِيعِ، سَوْفَ نُشِيرُ إِلَى الْمُدْرِسِينَ وَالطُّلَابِ ذَلِكَ الْمُدْوَعِ الَّذِي جَمِيعًا يَرْعُبُونَهُ وَيَنْتَظِرُونَهُ بِحِمَاسَةٍ، مِنْ أَجْلِ خِدْمَةِ أَعْظَمِ دَائِمًا لِلْكَنَائِسِ الشَّرْقِيَّةِ.